

صيد الخاطر

55 - - فصل : من ذاق طعم المعرفة وجد طعم المحبة .

لما أنهيت كتابة الفصل المتقدم هتف بي هاتف من باطني : دعني من الصبر على الأقدار
فإني قد اكتفيت بأنموذج ما شرحت .

وصف حال الرضى فإني أجد نسيما من ذكره فيه روح للروح .

فقلت : أيها الهاتف اسمع الجواب و افهم الصواب .

إن الرضى من جملة ثمرات المعرفة فإذا عرفته رضيت بقضائه و قد يجري في ضمن القضاء
مرارات يجد بعض طعمها الراضي .

أما العارف فتقل عنده المرارة لقوة حلاوة المعرفة .

فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة صارت مرارة الأقدار حلاوة كما قال القائل : .

(عذابه فيك عذب ... و بعده فيك قرب) .

(و أنت عندي كروحي ... بل أنت منها أحب) .

(حسبي من الحب أني ... لما تحب أحب) .

و قال بعض المحبين في هذا المعنى : .

(و يقبح من سواك الفعل عندي ... فتفعله فيحسن منك ذاكا) .

فصاح بي الهاتف : حدثني بماذا أَرْضى ؟ قدر أني أَرْضى في أقداره بالمرض و الفقر فأَرْضى
بالكسل عن خدمته و البعد عن أهل محبته ؟ فبين لي ما الذي يدخل تحت الرضى مما لا يدخل ؟

فقلت له : نعم ما سألت فاسمع الفرق سماع من ألقى السمع و هو شهيد .

إرض بما كان منه فأما الكسل و التخلف فذاك منسوب إليك فلا ترض به من فعلك .

و كن مستوفيا حقه عليك مناقشا نفسك فيما بقربك منه غير راض منها بالتواني في المجاهدة

فأما ما يصدر من أفضيته المجردة التي لا كسب لك فيها فكن راضيا بها كما قالت رابعة -

رحمة [] عليها - و قد ذكر عندها رجل من العباد يلتقط من مزبلة فبأكل فقيل : هلا سأل

[] تعالى أن يجعل رزقه من غير هذا ؟ فقالت : إن الراضي لا يتحيز و من ذاق طعم المعرفة

وجد فيه طعم المحبة فوقع الرضى عنده ضرورة .

فينبغي الإجتهد في طلب المعرفة بالأدلة ثم العمل بمقتضى المعرفة بالجد في الخدمة لعل

ذلك يورث المحبة .

فقد قال سبحانه و تعالى : [لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته
كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به] .
فذلك الغنى الأكبر و وافقراه !!!